بسم الله الرحمن الرحيم

علـوم اللغـة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ١٠، ع ٣ ٧ ٢٠٠٠

ⓒ حقوق الطبع والنشر محفوظة، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات، إلا بإذن كتابى من الناشر.

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٣٠ ش أ ن (٥٨) الدواوين - القاهرة ١٢٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٢٧٩٤٢٠٧٩ - فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث	الصفحة
الفصحى والحضارة د. علي هنداوي	٩-٦٩
الهاء العربية الصوت والوظائف (دراسة توليدية) د. رضوان منيسي عبد الله	٧١-١٥٠
مفهوم اللغة في ضوء اللسانيات الحديثة د. محمد محمد محمد الخربي	١٥١-١٨٢
القضايا الصوتية والصرفية «في فاتحة الكتاب» د. عامر صلاح محمد	١٨٣-٢٦٢
مصطلح المعجمية عند ابن خلدون د. خالد فهمي إبراهيم	٢٦٣-٣٢٢

مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة

د/محمد محمد محمد الخربي

أستاذ مساعد بكلية اللغات

جامعة صنعاء

توطئة:

تحتل اللغة موقعا متميزا في بحوث الدراسات اللسانية الحديثة ،بدءا بآراء اللساني السويسري فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure) (١٨٥٧ – ١٩١٣) في كتابه المعروف "دروس في اللسانيات العامة" (Cours de Linguistique Générale) (١) الذي نشره شارل باللي وسيشهاي سنة ١٩١٦م ،وختاما بأفكار اللساني الأمريكي (نوام تشومسكي (Noam Chomsky) ولد سنة (١٩٢٨) ويعمل في مجال البحث اللغوي منذ فترة تزيد عن نصف قرن،وتمكن عبر مراحل متالية من تطوير اجتهاداته بصور شتى.

ولا ريب في أن هناك نظريات عديدة قد عالجت مفهوم اللغة ،بل واستندت في وضع تصوراته المختلفة إلى تحديدها الدقيق لمعنى اللغة شكلا ومضمونا ،ولا يمكننا أن نفهم معالم كل مدرسة ألسنية إلا بالإدراك التام لكيفية معالجتها المبدئية والأساس للمسألة اللغوية في ذاتها ولذاتها .

ونعتقد أن هذا البحث إضافة متخصصة في علم اللسانيات العامة لأنه يحاول إعادة قراءة مفهوم اللغة في ضوء مضامين النظريات اللسانية الحديثة التي وضعها نخبة من كبار علماء اللغة في الغرب مع تقييمها ومناقشتها بعد عرضها في جوانبها الكمية والكيفية.

ويجدر بنا أن نؤكد أن الفكرة الجوهرية في تحديد هدف اللسانيات المعاصرة بكونها "دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها "(٢) مع تقديم مختلف المنطلقات والركائز النظرية والعلمية في هذه المسألة من خلال آراء سوسور القوية والمقصية قد أعطت هذه المدارس بنظرياتها المتعددة قواعد سليمة في إدارة الدرس اللغوي وإنجازه بما لا يتعارض مع الهدف الرئيس في موضوع هذا العلم الآنف الذكر.

وهكذا تكون اللغة البشرية قد تخلصت من كل ما هو ليس من نظامها الخاص، وأصبحت محل اهتمام اللغويين دون أن يقحم فيها من العوامل الخارجية التي تتنافى -حسب مؤسس علم اللسانيات- مع خصوصية نظامها الداخلي.

ولعل سوسور بهذا الفصل قد وضع حدا بين اللغة كأداة تواصل دلالي يقوم على جملة من الأركان اللغوية مثل الأصوات والكلمات والتراكيب والدلالات وما يتعلق بهذه الحقول من مبادئ خاصة هذا من جهة ،وبين اللغة كملكون فكري عقلي يقتبس من العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية والتاريخية على وجه العموم كثيرا من السمات التي لابد لعالم اللغة أن يقوم أثناء تطبيق اللسانيات بعزلها وإيلاء اللغة كنظام حر ومستقل حقه من الدرس والتحليل.

ولذلك فإن اللسانيات العامة وتحديد هدفها ومجال عملها في جهود علماء اللسانيات المختلفة وما ساوقها من نظريات قد أنهى فعليا قضايا الازدواج بين البحث اللغوي والتداخلات العقائدية كالتي حدثت لدى علماء اللغة العرب

المسلمين ،أو التداخلات الفلسفية والمنطقية كالتي جرت مع علماء اللغة الغربيين قبل القرن العشرين، مما جعل البحث اللغوي خاضعا لعوامل خارجية لا تسهم في فهم اللغة كمكون دلالي تواصلي في ذاته وتعمق علاقاته وقوانينه في أسسه وظواهره الفاعلة.

وسنحاول فيما يأتي من محاور متتالية أن نتقصى بشيء من التفصيل وجها واحدا لدى علماء اللسانيات الحديثة ،وهو كيف قدمت كل نظرية اللغة كمفهوم وما هي الأطر المرجعية التي أعانت على صياغة الأصول اللسانية في كل نظرية ؟ كما سنلجأ إلى عملية ربط دلالي بديهي بين مختلف هذه الجهود لنبين في الختام الحدود التي استطاع بها هؤلاء الناس تطوير مجالات البحث اللغوي حتى صارت اللغة وما يتعلق بها حقلا علميا قائما بذاته.

ونعتقد أن أبرز النظريات التي أثرت تحديد اللغة في جانبيها الشكلي والمعنوي هي الآتية:

أولا النظرية السوسورية: (Theorie Saussurienne):

تعتبر هذه النظرية من أكثر الجهود اللغوية ثراء ودقة ،و مثلت النسغ الذي ترجع إليه كل النظريات في تأطير اهتماماتها اللغوية ،ولعل سوسور كان رائدا في وضع المبادئ الكبرى التي عزلت الدرس اللغوي عما سواه من مؤثرات غير لغوية وقام بإعطاء اللغة مكانة خاصة مع تحديد مجالاتها ومصطلحاتها العلمية بطرق متطورة غطت حقول الأصوات والصرف والنحو والدلالة على حد سواء.

ونعتقد أن أهم ركيزة انطلق منها سوسور في بيان مفهوم اللغة هو قوله بوجوب التفريق بين أنواع ثلاثة من الأداء اللغوي(٢): (الكلام) (Langage) واللغة (Langue) واللفظ (Parole)

ويهمنا هنا كيفية تحديد سوسير مفهوم اللغة في مختلف جوانبها الفاعلة ،ويرى في البدء أن اللغة هي(٤) :

١- أداة تواصل مكونة من علامات ودلالات أي شكل ومعنى.

٢- مؤسسة اجتماعية تسمى مدونة (Nomenclature أو Corpus).

٣- نظام من العلامات المحددة التي تعبر عن أفكار معينة (٥).

٤- وحدة الكلام الاجتماعية التي تجعل من إمكانية التواصل بين الأفراد الناطقين شيئا ممكنا عبر مجموعة من المواضعات الضرورية فيما بينهم (٦).

٥- ملكة اجتماعية يتم أداؤها ضمن شبكة معقدة حال التواصل بين طرفين ،فهناك عناصر مادية (موجات صوتية) وعناصر عضوية (تصويت واستماع) وعناصر نفسية (الصور العصبية والمفاهيم الذهنية) (٧) ،أي تتلخص في صورة صوتية ومتصور ذهني داخل شبكة تواصل مغلقة بين الطرفين.

٦- كنز مودع في عقول الناطقين بها عن طريق ممارسة اللفظ في النصوص الخاصة بمجموعة بشرية معينة (٨) .

٧- نظام نحوي تركيبي يوجد في كل دماغ الأفراد الذين ينتمون إلى مؤسسة اجتماعية واحدة أو في كل أدمغة الأفراد الاجتماعيين (٩) .

٨- كيان دلالي أساس أو رئيس لا يبدو كاملا في دماغ واحد بعينه ولكنه يتجلى في صورته المثلى في المجموع كله (١٠) ، فلا يوجد ناطق مثالي للغة عند سوسير في أي مجتمع بشري كان.

٩- ذات طبيعة غير محدودة أي مفتوحة في مفرداتها المعجمية وما تدل عليه ،ولكنها متجانسة والهدف الرئيس منها وحدة المعنى والصورة الصوتية الدالة عليه وهما عنصران ذوا مرجعية نفسية (١١١) .

١٠- هي شكل وليست مادة ،أي لا يمكن لمسها وإنما يتم وعيها وإدراكها، فهي ذات صبغة تجريدية مطلقة قابلة للتطور والتوسع ،ويمكن العودة إلى الفصل الخاص بـ "القيمة اللغوية" من الصفحة (١٥٥) إلى الصفحة (١٦٩) .

١١- كل صورة صوتية فيها يتم ترجمتها بصورة مرئية ثابتة ،وهي خلاصة لعدد محدود من العناصر أو الصوائم تقابلها علامات مخصوصة أثناء الكتابة، فاللغة مستودع من الصور الصوتية يتم نقلها كتابيا في شكل دلالي واضح ومنظم ،(وقد خصص سوسير فصلا كاملا في كتابه لدراسة كيفية تمثيل اللغة بواسطة الكتابة من ص ٤٤ إلى ص ٥٤ في المصدر نفسه) .

١٢- يفصل سوسير بين اللغة كنظام دلالي قائم بذاته له شكله المجرد وبين أعضاء النطق التي تقوم بإنتاج اللغة نفسها ، ويجعلها عناصر خارجة عن عالم اللغة الداخلي (١١٢)، ولعله يقصد بذلك أن هذا الجهاز الصوتي ينتج آلاف اللغات البشرية ،بينما تبقى اللغة نظاما خاصا .

١٣- يتدرج سوسير في بيان مفهوم اللغة عن طريق نقد الفكرة التقليدية حولها أن "اللغة قائمة من الألفاظ التي تتطابق مع مثيلاتها من الأشياء (١١٣) ،ثم يطور هذه المسألة ليبلغ مفهوما تحليليا دقيقا ، وذلك بتقديم الوحدة الصغرى في اللغة وهي العلامة اللغوية التي تصلح على مختلف العلامات المشكلة في نهاية المطاف لمفهوم اللغة قيد الدرس قائلا :"العلامة اللغوية (Le Signe Linguistique) لا تجمع بين شيء واسم بل بين متصور ذهني (Concept)، وصورة صوتية (Image acoustique) (١١٤) ،وهذه الصورة ليست الصوت المادي أي ذلك الشيء الفيزيائي المحض ،ولكنها الأثر النفسي الذي يحدثه ذلك الصوت أي التمثيل الذي تقدمه

لنا حواسنا، وهي صورة حسية ننعتها بالمادية من باب المقابلة مع الطرف الآخر من المعادلة اللغوية أي المتصور الذهني الذي يعتبر أكثر تجريدا" (١٥) .

وهكذا يفكك سوسير مفهوم اللغة في وحدته الصغرى أي الدال (Signifiant) والمدلول (Signifie)، فالدال ذو طبيعة لغوية صوتية صرفة ،أما المدلول فذو طبيعة ذهنية تجريدية خالصة، وعملية الترابط الدلالي بينهما تؤدي إلى نعت الشيء الحقيقي في الواقع، وكأن اللغة نظام دلالي خاص ينقل بمقتضى قوانينه علامات الحياة الكائنة بين الأفراد الاجتماعيين وفق اصطلاح وتواضع متفق عليه فيما بينهم.

١٤- هناك أخيرا نوعان من العلاقات اللغوية التي أكد عليها سوسير في دراسة مفهوم اللغة : الأول يتعلق باللفظ وهي العلاقات السياقية (Syntagmatiques) وتتم في مستوى النص أو التركيب المنجز، وحقلها هو الجملة وما يتعلق بها من خيارات خاصة أثناء الإنجاز والأداء، أما الثاني فيتعلق باللغة كمدونة ذهنية تمد الفرد بكل ما يحتاجه في أداء الجمل والتركيب، وهي العلاقات الترابطية (Paradigmatiques)،وقد أسهب سوسير في بيان طبيعتها وأنها تلعب دورا مهما فيما يجب اعتماده من اللغة أو تركه أثناء الحديث ،كما أن هذه العلاقات تبين ثراء اللغة ومدى إمكانية التصرف الدلالي في إنجاز المعنى المراد تبليغه في تركيب ما .

ولذلك فالعلاقات السياقية أو النصية تتصل بمحور التوزيع اللغوي حال الأداء والإنجاز،بينما العلاقات الترابطية أو الذهنية ترتبط بمحور الاختيار اللغوي في مرحلة الكمون ،مما يؤدي إلى تزاحم مستويات اللغة في عقل الناطق بما يتناسب مع مقام الأداء أو التوزيع نفسه ،فإذا صيغت الجملة انتهت هاتان العمليتان.

فنستخلص إذا مما سبق أن مفهوم اللغة لدى سوسير هو مفهوم بنيوي يقوم على أساس كونها نظاما قائما بذاته مترابطا فيما بينه ومستقلا عما غيره من أنظمة تواصل غير لغوية ،والنظام مجموعة من الوحدات يقوم بينها عدد من العلاقات المتنوعة والمتآصرة فيما بينها ،بحيث إن أي تغيير يطرأ على أحد عناصرها فمن شأنه أن يؤثر بكيفية ما على النظام كله ،وهو نظام شكلي مجرد يتم تجسيده في التراكيب حال الأداء والإنجاز ،ولكن وفق قوانين وقواعد صارمة تفرضها اللغة نفسها على الأفراد الناطقين بها ، ولايمكنهم تجاوزها كما أنهم غير قادرين على تمثيلها تمثيلا كليا في حديثهم ،وهي مدونة مثالية وكاملة في أدمغة المجموع كله ،ويجري توظيفها في الحديث بدرجات متفاوتة وحسب ما يقتضيه المقام ذاته ،ولا أدل على ذلك من جدلية العلاقات السياقية النصية والترابطية الذهنية،وهي تؤكد بما لا يدع للشك مجالا أن حقول اللغة واسعة جدا ،وأن المتحدث لا يستثمر منها سوى جزء محدود ويسير.

ثانيا نظرية سابير : (Sapir):

"أسهم إدوارد سابير (١٨٨٤-١٩٣٩) بمجموعة من الأعمال اللسانية في دراسة اللغة باعتبارها "أداة تصنيف للتجربة" (...) إلا أن أبرز ما عرف به في مجال علم اللسان البنيوي كتابه "اللغة" الذي نشره بنفسه سنة ١٩٢١م ،وبين فيه أن اللغة ظاهرة ثقافية داخل نظام السلوك البشري"(١٦). ويمكن اعتبار نظرية سابير أنها تتنزل ضمن أعمال البنيوية الوظائفية التي توجت بتأسيس نظرية مشتركة عرفت باسم "سابير وورف" ،وهي تذهب إلى وجود علاقة وطيدة بين اللغة والفكر ،وتنص على كوننا "نحلل الطبيعة ونصنفها في خطوط بواسطة اللغة أي من خلال الأنظمة اللغوية المودعة في عقولنا" (١٧) ، وكأنهما يقران بذلك أن اللغة هي نظام ذو طبيعة دلالية

وظائفية ينطبق تماما مع مختلف الموجودات والمتصورات المرئية في الحياة، بعد أن تحال في أدمغتنا الى أنظمة ذهنية قابلة للتحليل والتمثيل عبر هذه اللغة نفسها .

وقد أدلى سابير بأفكار عديدة حاول فيها تحديد مفهوم اللغة ضمن هذه الرؤية السلوكية،"وتتسم بقيامها على قاعدة شكلية ونظام من المفاهيم النحوية الداخلية ونسق من العلاقات التركيبية بين النظام الشكلي والإجراءات النحوية" (١٨) .

ثم يقدم تعريفا دقيقا للغة قائلا: إن" اللغة منهج إنساني محض لا غريزي لتبليغ الأفكار والمشاعر والأغراض بواسطة نظام من العلامات الموضوعية الاختيارية ،وهي مبدئيا علامات مسموعة تحدثها ما يسمى "أعضاء الكلام" ،فليس للكلام البشري قاعدة غريزية متميزة" (١٩) ،"فلا مفر من الأخذ باعتبار اللغة نظاما وظيفيا محكم البناء داخل التركيب النفسي أو الفكري للإنسان" (٢٠) ،ويضرب سابير مثالا لكلمة "منزل" ،معتبرا إياها علامة لغوية ،ولكنها تدل أيضا على "مفهوم" أو مضمون فكري داخل نسق من العلاقات والعناصر المتبادلة والمتعددة ،والتي يربطها نظام جامع لتلك المفاهيم كلها .

بل ويوغل سابير في جعل اللغة وظيفة سابقة للعقل ضمن ما يسميه بمستويات التعبير العلامي (Semiologique) الأعلى مؤكدا أنه "ليس في اللغة ما هو ثابت غير شكلها الخارجي ،بينما تختلف معانيها العميقة وقيمتها النفسية أو كثافتها اختلافا حرا بحسب إدراك الفكر أو اهتماماته المختارة ، ولاشك في أنه يختلف أيضا بحسب التطور الفكري العام ،فيمكن انطلاقا من هذه الوجهة اللغوية أن نحد اللغة باعتبارها أعمق مضامين الكلام أو المضمون الممكن له والحاصل بتأويل كل مكون من مكونات النظام اللغوي في إطار دلالاته المفهومية الخاصة ،وينجر عن ذلك مباشرة انعدام التلازم بين اللغة والفكر"(٢١)

ثم يوضح سابير حقيقة اللغة التي تنشأ من اجتماع العناصر الأصول والعناصر النحوية والكلمات والجمل اجتماعا طبيعيا بالمفاهيم أو مجموعة المفاهيم التي يتعلق بعضها ببعض في أنظمة متماسكة، جاعلا للوحدات الصوتية الأولوية المطلقة في تشكيل مكونات اللغة المفيدة ،ويسند إلى كل كلمة مفردة فكرة مخصوصة عبر مفهوم أو صورة ما .

- ويحاول أن يجعل اللغة حقلا من المفردات الدالة على أفكار ،ولكنها تفتقر إلى العملية الوظيفية التي تتبدى قيمتها حال التواصل اللغوي بين الأفراد ،فتحدث المفاهيم الخاصة بتلك الوحدات ضمن سياق النظام اللغوي العام والمتماسك (٢٢) .

ويمكن تلخيص رؤية سابير اللسانية عن اللغة في كونها بنية (Structure) وشكلاً (Forme) ، "وتقوم على عناصر صوتية تربطها علاقات معينة ،ولها أدوار وظيفية وتستقل تماما عن المادة المحسوسة (...) وتمتلك اللغة عند سابير (كما) كافيا من الوحدات الصوتية يكفيها في سد حاجات التواصل الاجتماعي والحضاري ،لذا فإنها تتعامل مع متطلبات الجماعة اللغوية بمرونة واقتدار وقوة وتلزم ناطقيها بجزئياتها وطرائق أدائها وتلويناتها (...) فاللغة تكون فكر متكلميها"(٢٣) .

وقد اقترح سابير في ضوء ذلك مجموعة من المفاهيم لمعالجة شكل اللغة المنجز أي النحوي التركيبي ليصل إلى المفاهيم النحوية الآتية:

١- المفاهيم القاعدية (الأصول) .

٢- المفاهيم الاشتقاقية (الفروع) .

٣- المفاهيم التعليقية المحسوسة .

٤- المفاهيم التعليقية المجردة .

وأنها في مجملها تلخص شكل اللغة الذي لا يستطيع أي فرد القيام بعمليات التواصل بدونها ،فالنحو عند سابير بعد تآلف الوحدات الصوتية هو جوهر اللغة الذي يجعل صياغة الواقع ممكنة في أنماط لغوية شكلية متنوعة داخل النظام العام لها (٢٤) .

ثالثا النظرية الوظيفية: (Theorie Fonctionnelle)

يمثل هذا الاتجاه مارتيني (Martine)(١٩٠٨) وجاكبسون (Jakobson) (١٨٩٦-١٩٨٣) وتروبتسكوي (Troubetskoi) (١٨٩٠-١٩٣٨) ، ويلاحظ أن الوظيفية قد انطلقت من آراء سوسير ،وعملت على تطويرها وتوسيعها ،وسننظر إلى هذه النظرية باعتبارها كلا واحدا، لأن رجالها قد اتحدوا إلى حد ما في بيان مفهوم اللغة بالاستناد إلى أسس مشتركة تنطلق من دراسة كل ما هو وظيفي في اللغة ،وجعلوا عناصر اللغة التي تحمل شحنة إعلامية هي محور بحثهم اللساني(٢٥) .

وأهم المؤلفات التي صبغت هذا الاتجاه هي (مبادىء الأصوات الوظيفية) "Principes de Phonologie" لتروبتسكوي (وعلم وظائف الأصوات) "Phonologie" لجاكبسون و(مبادىء في اللسانيات العامة) "Principes de Linguistique Generale" لمارتيني ،ثم توالت الأعمال الوظيفية حتى السبعينات من القرن الماضي(٢٦) .

ويرى الوظيفيون أن "اللغة أداة تواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية تحليلا يختلف من مجموعة إلى أخرى عن طريق وحدات ذات دلالة وشكل صوتي هي اللفاظم (Monemes) ،وتقطع هذه اللفاظم بدورها إلى وحدات مميزة متتالية هي الصوائم (Phonemes) ،وعددها محدود في كل لغة ،كما أنها تختلف أيضا من لغة إلى أخرى من حيث طبيعتها وعلاقة بعضها ببعض" (٢٧) ،وثنائية التقطيع هذه تشترك فيها جميع اللغات

البشرية ،وهي من الكليات (Universaux) التي تقرها النظرية الوظيفية ،وتسمح لنا عبر صوائم محدودة في اللغة أن ننتج قائمة لا نهائية من الألفاظ الدالة في التواصل ،كما تفرض هذه الظاهرة على المتكلم أن يختار من المدونة اللغوية الوحدات التي تحمل وظيفة في أداء الرسالة ،فالصوائم تتحول إلى لفاظم عن طريق التالي والتابع ،وكذلك اللفاظم تتحول إلى جمل ومقاطع نحوية تركيبية بالكيفية نفسها (٢٨) .

ولذلك يركز أصحاب هذه النظرية في دراستهم الصوتية على مفهوم الوظائف المميزية (Fonctions distinctives) ،ويعتبرون أن اللغة تقوم على مستويين في الدلالة الوظيفية وهما :

أ) مستوى التعبير (Le Plan de Lexpression)

ب) مستوى المضمون (Le Plan de Contenu)

ويتجلى الجانب الأول من ثنائية التقطيع (double Articulation) أي اللفاظم في المستويين معا ،أما الجانب الثاني من هذه الثنائية أي الصوائم فيتعلق فقط بمستوى التعبير، فاللفاظم رغم كونها محدودة فإنها تسمح لنا بتكوين قائمة مفتوحة من الكلمات ،كما أن الصوائم رغم عددها البسيط الذي قد يبلغ خمسين صوتا في بعض اللغات فإنها تتيح لنا أن نشكل منها عشرات الآلاف من الدوال المختلفة(٢٩) .

وقد حصر جاكبسون اللغة وظائفيا فيما سماه بدائرة التواصل اللساني، وحدد فيها مجموعة من الأركان التي تتحكم في عملية أداء المعنى وإنجاز الخطاب المطلوب، واقترح التواصل اللغوي ضمن الدائرة الآتية:

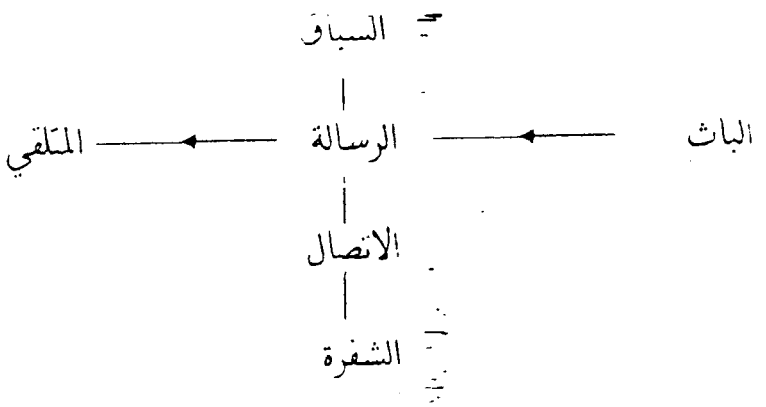

ونلاحظ فيها أن الأطراف ستة ،فالباث (Destinateur) هو الذي ينشئ الرسالة ويقوم بتبليغها إلى طرف ثان ،والسياق (Contexte) هو المرجع والمقام الذي يربط جميع أطراف الدائرة ،والشفرة (Code) هي أداة التواصل اللغوية المعروفة بين طرفي الدائرة وقد تكون الانكليزية أو الفرنسية أو العربية ،والاتصال (Contact) هو الباعث الذي يجعل عملية التواصل بين الطرفين ممكنة ،ويعمل على حفظها وتحقيقها ،والرسالة (Message)هو المضمون النصي أو الخطاب المراد إيصاله إلى الطرف الآخر وأخيرا المتلقي (Destinatair) هو الطرف الآخر في الدائرة الذي يستقبل الرسالة ويقوم بفكها وإدراكها وتحويلها إلى نص تواصلي تمثيلي (٣٠) .

فاللغة عندهم إذا نظام من العلامات المترابطة بشبكة من العلاقات وأداة تواصل وظيفية ، وهذه الوظيفة أي العلاقة التي تنشأ في الملفوظ بين مختلف العناصر المكونة له هي المقياس الذي يعتمده اللساني ليختار من الملفوظ ما هو أساسي في التواصل والتبليغ أي ما هو مفيد (Pertinent)، وبغض النظر بالمقابل عما لا يفيد أي لا يحمل شحنة إعلامية أو إخبارية" (٣١) .

وهكذا نلاحظ أن هذه النظرية قد أعطت اللغة مفهوما واسعا ،وحاولت أن تعالج مختلف جوانبها بدءا بالأصوات وانتهاء بالدلالة ودائرة التواصل اللسانية ،ولعل السر في ذلك يعود إلى كونها

أخذت اللغة كشكل ومعنى ودلالة مما جعلها أكثر قوة بعد نظرية سوسير في بلورة مفاهيم تطبيقية مباشرة في منهجها الوظيفي كما وكيفا .

رابعا النظرية التوزيعية: (Theorie Distributionnelle)

تنسب هذه النظرية إلى اللساني البنيوي ليونارد بلو مفيلد (L.Bloomfield) (١٨٨٧-١٩٤٩) ، وظهرت مبادئها سنة ١٩٣٠م في كتابه الموسوم بـ (اللغة) "Language" ، جاءت عموما كرد فعل على أفكار النحاة ذوي النزعة الذهنية ، فأقصت المعنى من معالجاتها لمفهوم اللغة وترى " أن أجزاء اللغة لا تلتقي بصفة اعتباطية، وإنما كل عنصر يحتل مواضع مخصوصة بالنسبة إلى غيره من العناصر" (٣٢) ،(وقد تأثر التوزيعيون بالمنهج السلوكي (Behaviourisme) في دراسة مفهوم اللغة ،فهم يرونها سلسلة من الفعل المثير (Stimulus) ورد فعل الاستجابة (Reponse) ،ويعتبرون معنى الرسالة ما يحصل عموما من مجموعة مقام التواصل ،فهذه الخلاصة في كليتها هي المعنى الذي يعتد به في هذا السياق، ويجب على اللساني أن يحلل عناصر اللغة ذات الكفاءة الممكنة أو غير الممكنة للتآلف فيما بينها ،حتى نتمكن من بلوغ وصف شامل لها في حالتها التزامنية الآنية (٣٣) .

وهو ما يقتضي الانطلاق من مدونة تمثيلية في شكل ألفاظ خطية متحدة ومعقدة تؤدي إلى تشكيل عناصر مختلفة في مستويات شتى من النظام ،واللغة تتيح لنا مجموعة من الطبقات المنتظمة التي تغطي الأصوات والبنى الصرفية والتركيبية ،وكل وحدة طبقية يجري تحديدها بالاعتماد على مكوناتها بالنسبة إلى الطبقة اللغوية الأرفع منها ،ويتم اللجوء إلى المعنى بصورة تقنية عندما نحتاج إلى توضيح هوية الألفاظ من عدمها (٣٤) .

فاللغة شكل منظم يتكون من عناصر صوتية وصرفية ونحوية تتم دراستها ضمن تشكيلاتها داخل النص أو الخطاب نفسه وتحديد قواعدها التوزيعية ،ثم إن بلومفيلد ومن سار حذوه من البنيويين "اعتقدوا أن المعنى أمر موسوعي والإحاطة به تتطلب الإحاطة بكل ما توصل إليه الإنسان من خبرات في عالم الحياة ،وبما أن مثل هذه الإحاطة الكاملة مستحيلة فإن البحث في علم المعنى يظل يشكل نقطة ضعف في الدراسات اللغوية ،ولذا تجنبوا الخوض فيه أو أرجؤوه إلى حين اكتمال المعرفة الموسوعية والعلمية لعالم الخبرة الإنسانية" (٣٥) ،وعلى الألسني أن يعالج اللغة بوصفها أشكالا من الملفوظات التي يجري توزيعها وفق نظام خاص من العلاقات والمكونات البنيوية .

ويقترن أخيرا الشكل اللغوي بالدلالة ،فالمعنى أمر بديهي وحاضر في الملفوظات التي تشكل النص أو الخطاب ،ولذلك يتمكن الألسني من دراستها ،ويقسم بلومفيلد هذه الأشكال إلى نوعين:

أ) الأشكال المقيدة (تمثلها أجزاء الوحدات اللغوية) .

ب) الأشكال الحرة ونجد فيها:

١- الوحدات اللغوية المفردة وتسمى مستقلة.

٢- الوحدات اللغوية المزدوجة وتسمى غير مستقلة.

ويتم دراسة المكونات الطبقية المباشرة ابتداء من القمة ونزولا إلى القاعدة ،وهذا اللون من التحليل النحوي للتراكيب اللغوية من أكثر الأساليب انتشارا في أوساط اللسانيين في وقتنا الراهن"(٣٦) .

وقد يكون من نتائج الاتجاه البلومفيلدي المتمثل في العناية بالبنية وإبعاد المعنى أن بدأ اللسانيون يميلون إلى الوصف القواعدي لبنية الجملة ،فشاع عندهم ما يعرف بالتحليل التكويني المباشر الذي ترتبط فيه المصرفات (المكونات) بعضها ببعض في مشجرات ،وقد مهد ذلك لظهور

التوزيعيين الذين أخذ الوصف اللغوي عندهم طابع العناية بالعلاقات التوزيعية بين الصوائم في المركبات المتألفة منها وبين اللفاظم ،وعلى الرغم من أن هاريس (Harris) قد تمكن من تطوير جوانب من اللسانيات البنيوية فقد شاع إطلاق البنيوية حصرا على التحليل اللغوي الذي نظر له بلومفيلد"(٣٧) .

خامسا النظرية الجلوسيمية: (Glossematique)

يمكن ترجمة الجلوسيمية تقريبا بالتحليل اللغوي شبه الرياضي ،أما صاحبها فهو لويس يلمسليف (Louis Hjelmslev) (١٨٩٩- ١٩٦٥) ،وهو الذي أسس مع برونـدال (Brondal) حلقة كوبنهاجن اللسانية ،وقد تقيد بآراء سوسير اللسانية في دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها كنظام خاص ومستقل ،وبرز تأثيره في علمي الدلالة والعلامية ،وقد ظهرت هذه النظرية في كتابه الموسوم بـ"أسس النحو العام" (Principes de Grammaire generale) الذي صدر سنة ١٩٢٨م.

وتنظر هذه النظرية إلى اللغة ،"وكأنها وحدة مغلقة على نفسها وبنية فريدة من نوع خاص (...) وتشبه في هندستها الداخلية وتوزيع طبقاتها اللسانية الأشكال الرياضية الجبرية (...) فاللغة شكل وليس بجوهر ،وليس هناك من شيء سابق لنظامها ،وكل لغة تطبق تقطيعا مميزا بها للواقع الخارجي" (٣٨) .

وهكذا فإن هذه النظرية ترى أن اللغة تتحرك في مستويين : الشكل (Forme) والجوهر (Substance) أي مستوى ظاهري وآخر معنوي ،وما يمكن وجوده في شكل اللغة الخارجي فإننا نتبين مقابله في محتواها الداخلي، وهذا الانطباق من جهة أخرى ليس حكرا على ظاهر اللغة وباطنها ،ولكنه أيضا ينطبق تماما مع العالم الواقعي الذي تصفه اللغة ،ولذلك نحن مطالبون حسب هذه النظرية بدراسة الشكل اللغوي فقط .

ويؤكد يلمسليف أن مستوى الشكل لا يعدو عن كونه إمكانات نطقية وسمعية تحدث عبر الأعضاء البشرية ،أما الجوهر في اللغة فهو محور الاختيار الذي يسم نوعية هذه الإمكانات المنتجة والمستخلصة على مستوى الشكل نفسه (٣٩) .

وقد اقترح وحدة لسانية صغرى تقابل ما هو معروف في الدراسة الصرفية أي اللفاظم ، وسماها بالجلوسيم (Glosseme) ،وهي البنية اللسانية الدنيا والثابتة التي لا تقبل التجزئة إلى ما هو أصغر منها على مستويي الشكل والجوهر اللغويين (٤٠) .

كما اعتبر أن المتماثلات والاختلافات إنما تمس شكل اللغة لا جوهرها ،وبهذا تختلف اللغات بعضها عن بعض ،وبهذا تكون الجلوسيمية قد انتقدت بشدة اللسانيات الداخلية ،واستندت في آرائها إلى اعتبارات تخرج عن طبيعة اللغة نفسها أي اللسانيات الخارجية ،مع التقيد الشديد ببنية اللغة الشكلية.

ويكون يلمسليف قد "تأثر كثيرا بسوسير لا سيما في عنايته بالمباني (الأشكال) على حساب الجوهر (المحتوى) ،وحاول أن يطور أفكاره البنيوية فيما عرف عنه بالتأويلات ،ونتيجة لصعوبتها وطبيعة مصطلحاتها غير المتجانسة لم تنل تلك الأفكار الاهتمام اللازم ،ومن الانتقادات التي وجهت لتأويلات يلمسليف أنها نسخة نظرية وشخصية للسانيات سوسير ،غير أنه طبقها على نحو فيه مغالاة منطقية" (٤١) .

سادسا النظرية البرجماتية: (Pragmatique):

اختلف الدارسون العرب في كيفية ترجمة كلمة البرجماتية ،وقد جرى الخلط بينها وبين المصطلح الفلسفي (Pragmatisme) ،وقد عثرنا على اصطلاحات عديدة لهذه

النظرية مثل الذرائعية والتداولية والنفعية وعلم التخاطب (٤٢) والقصدية (٤٣) ،ونعتقد أن أنسب مفهوم لها هو علم اللغة التواصلي ،لأن هذه النظرية تعنى بالأداء والجوانب التخاطبية حال التواصل باللغة، وأهم أعلامها قرايس (Grice)وأوستين (Austin) وسيرل (Searle) ،وقد نشأت مع قرايس الذي أكد أهمية دراسة عملية التخاطب عن طريق جملة من المبادئ والمفاهيم الخاصة (وتفترض البرجماتية وجود توقعات بين المتخاطبين وأصول خطابية تحكم سلوكهم واستنتاجاتهم في عملية الأداء ،وقد عرف عن البرجماتيين تشكيكهم في فكرة قصر اللسانيات على دراسة الكفاية اللغوية بعيدا عن الاستخدام والسياق) (٤٤) .

وهذا يعني أن عملية التخاطب لا تقتصر على المعطيات اللغوية ،ولكنها تشتمل أيضا على عناصر منطقية تعتمد على التداخل بين حقول معرفية عديدة .

ولعل هذا الاتجاه قد بات بعيدا عن إطار اللغة الذي رسمه سوسير ،لأن أصحابه قد أقحموا اللغة في أحد حقول علم العلامات (Semiologie) حينما ركزوا جهودهم اللغوية على فهم اللغة من وجهة نظر مستخدميها ،والخيارات التي يصيغونها حال توظيف اللغة في التفاعل الاجتماعي، مما جعل اللغة لديهم مزيجا واسعا من علم العلامات والدلالة واللسانيات الاجتماعية ومقتضيات السياق المنطقية التي يمكن أن ترتبط ارتباطا شكليا ببنية اللغة ،وهو ما جعلها غير واضحة المعالم في منهج بعينه قابل للتطبيق ،كما أدت إلى اشتقاق العديد من المجالات العلمية في دراسة عملية التواصل اللغوي (٤٥) ،"فالبرجماتية تدرس اللغة عن طريق تحليل علاقة العلامات بمستعمليها (. . .) وبالمقابل نجد من يفرق بين معنى القول وهو معنى دلالي ودلالة القول وهو معنى برجماتي" (٤٦) .

وقد شددت هذه النظرية على أن اللغة هي أيضا ميدان لإنجاز أعمال خاصة بها ،وجرى اقتراح الأعمال اللغوية ضمن النقاط الآتية (٤٧):

١- البرجماتية لا تربط العلامة اللغوية بمستعملها فقط، بل بالمؤسسة اللغوية في عمومها من حيث هي مجال من مجالات التعامل الاجتماعي.

٢- أنها كنظرية للتخاطب تؤكد على التعامل من جهة المتكلم أكثر من تأكيدها عليه من جهة المخاطب.

٣- أنها وهي تؤكد على الوجه العرفي لا تدرس ما يسميه سوسير بالكلام ،وإنما تدرس استعمال اللغة في صورة مجردة فهي لا تسعى إلى وصف خصوصيات في الكلام ،بل تسعى من خلال دراسة الأعمال إلى البحث عن مظاهر عامة في استعمال اللغة.

سابعا نظرية فيرث: (Firth) (١٨٩٠-١٩٦٠م)

تعرف مساهمة فيرث اللسانية باسم (نظرية المعنى السياقية) "Contextual Theory Of Meaning" ،وقد انصب اهتمامه في دراسة اللغة على علمي الأصوات والدلالة ،وهي عادة العلماء الانكليز منذ جونز (Jones) ،وقد مثلت هذه النظرية تحديا مباشرا لأفكار بلومفيلد في تلك الآونة ،وقد قام هاليداي (Halliday) بتطوير أفكار فيرث لاحقا، وضمنها أبعادا جديدة بحيث لم تعد قاصرة على مستوى الجملة بل تجاوزتها إلى ما هو أكبر أي النص" (٤٨).

"وكان الفضل لفيرث في تأصيل نظرية السياق من خلال وضعه للإطار المنهجي لتحليل المعنى والذي يعتمد على أربعة عوامل هي:

١- تحليل السياق اللغوي صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا.

٢- بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام.

٣- بيان نوع الوظيفة الكلامية: مدح ،هجاء ،طلب الخ. .

٤- بيان الأثر الذي يتركه الكلام كالإقناع أو التصديق أو التكذيب أو الفرح أو الألم . . .الخ" (٤٩) .

فاستعمال الكلمة في رأي هؤلاء اللسانيين يحكمه أمران : السياق اللغوي الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة ،لأن الكلمة يتحدد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى ،ولا يمكن أن تتضح الدلالات الدقيقة لها إلا عندما نضعها في سياقات مختلفة ، وسياق الموقف الذي يتكون من ثلاثة عناصر وهي:شخصية المتكلم والسامع والعوامل الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالحدث اللغوي ثم الأثر الناتج من ذلك الحدث اللغوي(٥٠) .

ويلاحظ أن مفهوم اللغة لدى هذه النظرية قد حال إلى مجموعة من الدلالات والعلاقات المرتبطة بسياق خطابي ما ،مما يعني أنها تنظر إلى اللغة كمعنى يدل على وظيفة في سياق مخصوص، وهو ما يعد تحولا في الفكرة السائدة عن المعنى بأنه علاقة بين اللفظ وما يحيل إليه في الخارج أو الذهن من حقائق وأحداث (٥١) .

"إذ يرى فيرث أن الوقت قد حان للتخلي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة، والنظر إليه على أنه "مركب من العلاقات السياقية ،وذهب إلى أن الوظيفة الدلالية لا تتأتى إلا بعد أن تتجسد القولة في موقف فعلي معين ،أي بعد أن تخرج من خانة الوجود الوضعي الكامن إلى حيز الوجود الاستعمالي الفعلي ،وهو أمر لا يتحقق- حسب رأيه — إلا في سياق الموقف (Theory of Context of Situation) (٥٢) .

ثامنا النظرية النفسية النظامية: (Psycho systematique)

أنشأها قوستاف قيوم (Gustave Guillaume) ١٩٦٠م ،وتمتاز نظريته بصيغتها الذهنية، وبلغت درجة قصوى من العمق والتجريد ،وتجد الآن رواجا في أوساط الألسنيين بسبب الرجوع إلى المعنى عند دارسي اللغة خاصة مع انتشار النظرية التوليدية التحويلية والاتجاه البرجماتي والسياقي في تحليل اللغة والخطاب ،وقد تأثر بأفكار سوسير اللسانية (٥٣) .

وقد ارتكز قيوم في نظريته على ثنائية الخطاب (Discours) واللغة (Langue)، واعتبر اللغة سابقة والخطاب لاحقا لها ،ويعرف اللغة "أنها نظام فكري – أي أنها عبارة عن مجموعة أشكال فكرية (Schemes de Pensee) أو اتجاهات فكرية (Mouvements) ترتبط بعضها ببعض لتكون نظاما مغلقا – ،وهذا النظام يتكون من أنظمة ذات مستويات مختلفة ،وتتداخل بعضها في بعض ،وتنتمي إلى بعضها كانتماء الجزء إلى الكل أو الفرع إلى الأصل ،ويلح قيوم" على الحركية التي تكتسيها هذه الأشكال الفكرية – فاللغة اتجاهات فكرية لا سكنات" (٥٤) .

ويعني قيوم بكلمة نفسي "أن اللغة مسألة ذهنية فكرية قبل أن تكون مجموع علامات ،أي إن العلامات ليست إلا تكريسا لعمليات فكرية تتطلب حلا لغويا للتعبير عن التجربة الكونية التي يعرفها الفكر وعن مقتضيات التواصل الاجتماعية ،فاللغة هي تلك العمليات الفكرية التي من وراء كل علامة أو مجموعة علامات" (٥٥) ،وهذه العمليات تحدث ضمن نظام واضح ودقيق وعبر أشكال ذهنية متحركة تحدد نفسها بنفسها .

وللعلامة اللغوية عند قيوم ارتباطان أي باللغة والخطاب ،فالدال والمدلول في مستوى اللغة ذوا اتجاه واحد ،بينما الدال والمدلول في مستوى الخطاب ذوا اتجاهات متعددة ،لأن وجود العلامات في اللغة هو وجود بالقوة ،بينما وجودها في الخطاب هو وجود بالفعل

،وقد وجه قيوم اهتمامه إلى دراسة المدلول اللغوي بالقوة ولكن ضمن ثنائية السابق واللاحق (٥٦) .

أما الأمر الآخر الذي يميز رؤية قيوم تجاه اللغة أنه اعتمد في الدرس والتحليل على لسانية الكلمة بدلا من الجملة ،لأن الكلمة مكتملة وتنتمي إلى اللغة ،بينما الجملة المنجزة تنتمي إلى الخطاب، وإن كان تركيبها العام ينتمي إلى اللغة (٥٧) .

وهكذا يعتمد قيوم على ألسنية الكلمة مبدئيا للوصول لاحقا وبصورة معقدة إلى ألسنية الجملة ،وتبدو لنا اللغة كأولوية مطلقة في بحوث اللسانيات النفسية النظامية مع استبطان عميق للطبقات الذهنية إلى درجة التساؤل عن مدى التزامها فعليا باللغة كنص منجز ضمن الوحدات اللسانية التركيبية .

تاسعا النظرية التوليدية التحويلية: (٥٨)

(Transformational Generative Theory)

تمثل هذه النظرية عصارة الجهود اللغوية في الدرس اللساني الحديث ،واستطاع صاحبها أفرام نوام تشومسكي (Avram Noam Chomsky) (ولد في سنة ١٩٢٨) لأكثر من نصف قرن وحتى يومنا الحاضر أن يتصدر بأفكاره المتجددة والعميقة سدة الاجتهادات ،وأن يطور رؤاه اللغوية تطويرا منطقيا بدءا بتبنيه لفكرة التحويل ودورها في بناء نظم الكلام لأستاذه زيليج هاريس(Z. Harris) وختاما بدراسة الروابط المنطقية بين عناصر التركيب ودور العلاقات الدلالية في النظم ومكوناته المختلفة .

"ولا جرم أن أفكار تشومسكي- التي كتب لها الذيوع والانتشار في أمريكا وأوروبا — قد كانت رد فعل لأفكار بلومفيلد وتصوره السلوكي للنشاط اللساني لدى الإنسان ،لقد تبنى تشومسكي ما يسمى بالنظرية العقلية (Mentalistic Theory) التي تربط اللغة بالعقل وليس بالسلوك ،وتدرسها على أنها نشاط إبداعي وأن اللغة نشاط من عمل العقل ،فهناك عوامل كامنة أي ليست سطحية تعمل على توليد تراكيبها، أو بعبارة أخرى يوجد شكل خارجي "آلي" وشكل داخلي عضوي للغة، ويعتبر الشكل الداخلي العضوي الأساس في التحليل اللساني لأنه يمثل البنية العميقة لما يحدث للبنية السطحية للغة.

لقد كان منهج التحليل البنائي للتراكيب قبل تشومسكي لا يفسر لنا كيفية إنتاج هذه التراكيب ،ولهذا فقد كان منهج النحو التحويلي الذي أضيفت إليه صفة التوليدي فيما بعد- والذي يرمز إليه بالحروف G.T.G- آخر تطور للنظرية اللسانية في الدرس اللغوي في القرن العشرين" (٥٩).

وتمكن تشومسكي من وضع آرائه في تحديد اللغة وفق تصوره المرحلي لها ،أي إنه قدم لنا تعريفاته حسب إسهاماته اللسانية ،ويمكننا أن نرصد في هذا السياق المراحل الزمنية الآتية (٦٠):

الأولى: صدور كتابه الأول (البنى التركيبية) (٦١) "Syntactic Structures" عام ١٩٥٧م، اعتبر فيه النحو أداة لتوليد كل الجمل النحوية ،ويرى أن النحو يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

بنية العبارة والتحويل والقسم المورفوفونيمي ،ولكل من هذه الأقسام مجموعة من القواعد تطبق في تتابع محدد مثل جملة وعبارة فعلية وعبارة اسمية ،وذكر نوعين من القواعد هما:

أ) قواعد بنية العبارة مثل المفردات المعجمية والأقسام النظمية.

ب) قواعد التحويل وفيها نوعان من الوظائف هما:

١) تغيير العلاقات النحوية مثل المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم.

٢) تحويل الجمل البسيطة إلى جمل مركبة.

الثانية: صدور كتابه (ملامح النظرية التركيبية) "Aspects Of Syntactic Theory" عام١٩٦٥م، وطور فيه نظريته بإدخال عنصر الدلالة والفونولوجيا والعنصر النظمي، وتحدث عن العلاقات الدلالية ومفهوم البنية العميقة (Deep Structure) في مقابل البنية السطحية (Surface Structure)، وربط بين الشكل الصوتي للجملة بالبنية السطحية مع فصل هذه الأخيرة عن البنية العميقة في عملية التمثيل النظمي .

الثالثة: صدور كتابه الموسوم بـ "Extended Standard Theory" (النظرية الموحدة الموسعة) عام ١٩٧٥م ، وركز فيه على جملة جديدة من المفاهيم اللغوية ذات العلاقة بقواعد الدلالة، وكيف تسهم عبر البنية السطحية وبتفاعل البنية العميقة في تحقيق التفسير الدلالي.

الرابعة:صدور كتابه " Government and Binding " عام ١٩٨٠، و يضم نظرية العامل أو الحكم والربط ،وتسمى بالإنكليزية، وهي على درجة كبيرة من التجريد . ويقصد بالربط الظروف التي تربط بعض عناصر الجملة ،وأما العامل أو الحكم فيشير إلى السياقات التي تظهر فيها العلاقات.

الخامسة: تتميز بتنوع آرائه وثرائها ومحاولته الدائمة تغيير اجتهاداته طبقا لما يستجد في ميدان علم اللسانيات هنا وهناك ،مع ملاحظة أن تشومسكي قد بلغ مرحلة متقدمة من التجريد المنطقي لمفهوم اللغة ،وهو يسعى دوما إلى إيجاد ما دعاه بالنحو العام لجميع اللغات البشرية ،كما

ظهرت تدريجيا نظرية المبادئ والوسائط "Principles and Parameters Theory" التي تبحث في مبادئ نظم الكلام على كل اللغات مع اختلاف الشكل من لغة إلى أخرى.

ونستطيع أن نلخص رؤية تشومسكي للغة في الاتجاهات الآتية:

١- يركز تشومسكي في تعريف اللغة على اتجاهين:الأول عام صالح لجميع اللغات فهي "كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو من الحروف الأبجدية) وكل جملة بالإمكان تصورها كتتابع من الفونيمات مع العلم أن عدد الجمل غير متناه" (٦٢).

الثاني: خاص فهي : "مجموعة جمل كل جملة منها تحتوي على شكل فونيتيكي (صوتي) وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن به ،وقواعد اللغة هي التنظيم الذي يفصل هذا التوافق بين الصوت والدلالة"(٦٣) .

للغة وجهان أحدهما ذهني خالص يوجد بالقوة والكمون سماه الكفاية (Competence)والآخر إجرائي منطوق ومسموع سماه الأداء (Performance) (٦٤) .

٢- اللغة ملكة لسانية وميزة إنسانية مكتسبة يمثلها الناطق المثالي عن طريق الجمع بين أصوات تحتوي على دلالات (٦٥) .

٣- تقوم اللغة في جانبها البنائي على مبدأين كبيرين هما: التوليد والتحويل وضمن ثنائيتين أساسيتين هما: البينة السطحية والبنية العميقة ،فالتحويل يرتبط ببنية النص السطحية ،أما التوليد فببنية النص العميقة وهو مستوى عميق خاص ومستقل عن المكونات الصرفية والصوتية والدلالية(٦٦).

خاتمة:

يتجلى لنا مما سبق أن الدرس اللساني قد شهد تطورات عديدة في تحديد اللغة ،وأن اللغة قد تبوأت صدارة الاهتمامات وكانت بمثابة المدخل الرئيس في تشكيل رؤى وأفكار كل نظرية.

كما نلاحظ أن جهود سوسير تميزت بقوتها وشموليتها ،إن أخذنا بعين الاعتبار مرحلة تأسيس علم اللسانيات العامة ومحاولة هذه النظرية وضع المبادئ العامة ،وكأن هذا العلم قد عرف حقبتين كبريين تميزتا بالثراء والتنوع وهما:

أ) التأسيس مع سوسير حتى أصبح كل عمل تلاه نوعا من التلوين والتدوير لأفكاره الأولى بشأن مفهوم اللغة وكيف يتم التعامل معها في ذاتها ولذاتها كجهاز ذاتي مستقل عن العوامل الخارجية غير اللغوية.

ب) التجذير مع تشومسكي حتى تمكن من استقطاب مختلف الجهود الحديثة ،ولعل السر في ذلك مثابرته على فهم كل فكرة جديدة تطرأ لدى أي لغوي ،والعمل الدؤوب على تعديل آرائه في ضوء الأبعاد القيمة لهذه الفكرة ،مما جعل نظرياته تحتل موقعا خاصة ومميزا في الدرس اللساني ، بل أضحت مرجعية أساسا لكل معاصريه من رواد هذا العلم.

فهاتان المرحلتان هما كفوسين يفسران كيفية تطور مفهوم اللغة من موقع إلى آخر حتى وجدنا نظرية اللساني الأمريكي كينيث بايك (K. Pike) والمسماة بـ "Tagmemic Theory" تذهب إلى تحديد اللغة في نطاق ما يسمى بفكرة "القوالب" (٦٧) ، وأن اللغة — حسب هذه النظرية- عبارة عن مجموعة من القوالب (Tagmemes) فيها فجوات (Slots) يتم ملؤها بمسدات (Fillers) ، وكل قالب يتألف من عناصر تعمل على تشكيل التراكيب اللغوية ضمن الوظائف المعروفة نحويا ،كما تميز

هـذه النظريـة في اللغـة ثلاثـة أنظمـة تدريجيـة وهـي: النظـام النحـوي والنظـام الصـوتي والنظـ. المعجمي،وكل نظام يحتوي على عدة مستويات ترتبط فيما بينها بعلاقات ووظائف.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الثراء والتنوع الفكري الذي رافق طرح آراء سوسير الجريئة عن مفهوم اللغة ومحاولاته إيجاد حقولها الخاصة بها ،مما أكسبها لاحقا ميادين واسعة تمثلت في جملة النظريات التي قمنا ببسطها في نطاق هذه الدراسة المتواضعة.

ويجدر بنا أن نبين أن مختلف المسارات اللسانية قد اقتبست الأسس السوسيرية حال تحديدها لمفهوم اللغة، وليس ذلك عيبا وانما هي ميزة تؤكد حقا أن جهود اللسانيين هي ثمرة تراكم معرفي بحت ،ولا يمكن فصلها بعضها عن بعض وأن المستفيد الوحيد من ذلك هي اللغة في ذاتها ولذاتها.

وهكذا نستطيع في خاتمة المطاف أن نجزم بأن نهج سوسير اللساني في تحديد اللغة ضمن ثنائية العلامة اللغوية أي الدال والمدلول من جهة والشيء الحقيقي ومايدل عليه في ذهن المتكلم من جهة أخرى قد هيمن على جميع أعمال وجهود اللغويين المتأخرين ،وأن آراءهم هي مجرد تلوينات وتقليبات لفكرته الجوهرية عن حقيقة اللغة.

وحتى نزيل الغموض والالتباس فيكفي أن نشير إلى أن فكرة تشومسكي الجوهرية في تحديد اللغة البشرية والمتمثلة في التحويل والتوليد هي تلوين لغوي لفكرة سوسير كونها — أي اللغة- تخضع لنوعين من العلاقات :

الأولى: سياقية مجالها النص والثانية ترابطية مجالها الذهن ،وهنا نفهم حقيقة البنية السطحية والبنية العميقة مع الاعتراف بخصوصية الطرح التشومسكي .

أما فكرته بشأن الكفاية والأداء فهي أيضا محاكاة بصورة ما لفكرة سوسير عندما ميز بين الكلام واللغة واللفظ ،فتبنى تشومسكي ثنائية اللغة واللفظ، وطورها في إطار تحديد سوسير بكون اللغة كنزا مودعا في عقول أصحابها ،ليبلغ ذروة رؤاه التوليدية بما سماه الناطق المثالي.

ويبقى سوسير — إذا أخذنا في تصورنا الفارق التاريخي — الأكثر دقة وحكمة في دراسة مفهوم اللغة ،كما أنه كان متقصيا وشاملا في تأسيس جميع مبادئها الكبرى ،خاصة نهجه في معالجة ثنائية الدال والمدلول الذي أصبح نسغ كل اجتهاد لساني على امتداد مختلف النظريات اللسانية الحديثة.

ونتطلع حاليا إلى منهج خاص في معالجة "اللغة" يأخذ في حسبانه أحدث الوسائل التي يتم توظيفها في الدرس اللغوي ، ونقصد بذلك الحواسيب ،وما نتج عنها من "علم اللسانيات الحاسوبية" (٦٨) (Computational Linguistics) ، وكذلك تطور ما يسمى بعلم "اللسانيات المعرفية" (Cognitive Linguistics) ، مما يبشر بحقبة علمية متطورة قد تجعل من درس اللغة ظاهرة فريدة تتناسب مع خصوصية العصر القادم كما وكيفا.

الهوامش:

١-يحتل كتاب سوسير موقعا متميزا ورائدا في علم اللسانيات العامة ولذلك تمت ترجمته عدة مرات إلى اللغة العربية ، ولعل أدق الترجمات هي تلك التي أصدرتها الجامعة التونسية ،وقام بها نخبة من خيرة العارفين باللغتين العربية والفرنسية مع نقص دقيق في ترجمة آراء سوسور وهي الطبعة الآتية: دروس في الألسنية العامة ،فردينان دي سوسير ،تعريب :صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ،الدار العربية للكتاب –تونس ،ط/١،١٩٨٥،وجرى تضمين هذه الطبعة مقالا قيما بعنوان "أمهات نظريات فاردينان دي سوسير ،وفيه عرض دقيق وشيق لأفكار سوسير بشأن اللغة وهو مقال نشر باللغة الفرنسية لصالح القرمادي وترجمه كل من محمد الشاوش ومحمد عجينة إلى اللغة العربية ،كما يشمل هذا الكتاب على قائمة طويلة بالمصطلحات اللسانية الواردة في النسخة الأصلية ،وصار لها صداها الكبير في علم اللسانيات العامة.

2- Cours de Linguistique Generale, Ferdinand de Saussure, Payot, Paris,1982, P (317).

٣-انظر المصدر السابق من ص ٢٣ إلى ص٣٥ ،ويحاول سوسير هنا التفريق بين هذه المصطلحات جاعلا الكلام نظاما عاما يحتوي على اللغة وما ليس من اللغة ،أي أنه يتضمن على جانب فردي واجتماعي ونفسي الخ. . ،بينما اللغة هي نظام دلالي صرف وهو هدف اللساني ،أما اللفظ فإنه الإجراء الذاتي للمتحدث ،أي صورة شخصية للناطق باللغة ،فهو محدود المعالم ونوع من الانتقاء البياني داخل المدونة اللغوية ذاتها ،فهو يتضمن بعض سمات اللغة وغير صالح لكي يعمم على المدونة ككل.

٤- تم استنباط هذه النقاط من مصدرها الأول وعبر فصول الكتاب المختلفة وكان أهمها:

- المقدمة
- ألسنية اللغة وألسنية اللفظ .
- مبادىء عامة حول طبيعة العلامة اللغوية .
- اللسانيات التاريخية التعاقبية .
- اللسانيات التزامنية الآنية.

- وحرص الباحث هنا على تقديمها بصورة مميزة تخرج عن الأسلوب التقليدي الذي دأبت عليه الدراسات السابقة بسبب اعتماد بعضها على بعض في فهم أفكار سوسير بدلا من إعادة قراءة النص الأصلي واستخراج جوانبه المتخصصة.

٥-- المصدر السابق ،ص (٢٦).

٦-نفسه ، ص (٢٧) .

٧-نفسه ،ص ص (٢٨،٢٩) .

٨-نفسه ،ص (٣٠) .

٩-نفسه ،ص (٣٠) .

١٠-نفسه ،ص (٣١) .

١١-نفسه ، ص (٣٢) .

١٢- نفسه ، ص ص (٣٦، ٣٧) .

١٣ نفسه ،ص (٩٧) .

١٤ هناك تردد وحرج في ترجمة (acoustique) بصوتي ،وهو أمر محمود في هذا العلم ،إلا أنه من المعروف في اللغة العربية أن ما يصدره الإنسان هو صوت وأن ما يسمعه هو صوت ،فلا حرج من استخدام المقابل "صوتي" ،لأن العلة الحقيقية في تعريبها بكلمة دخيلة أي صورة أكوستيكية بذريعة ألا وجود لمقابلها في لغتنا ،وهو أمر مذموم ولا معنى له ،فمن المعلوم أن لغتنا ثرية جدا في الدرس الصوتي ،وإنما المطلوب فهم مقامات الاستدلال لا أقل ولا أكثر دونما تعصب للغة دون أخرى أو لعقلية على حساب أخرى.

١٥-... Cours de Linguistique" ، سابق ،ص (٩٨) .

١٦- اللغة ،أدوارد سابير ،ترجمة /المنصف عاشور ،الجزء الأول ،الدار العربية للكتاب — تونس،ط/١ ،١٩٩٥، ص ص (٥،٦) .

١٧ - A Dictionary of Linguistics and Phonetics, David Crystal, Blackwell, U.K. 4"" edition, 1998,P (339).

١٨- اللغة ،أدوارد سابير (سابق) ،ص (٦) .

١٩- نفسه ،ص (٢٠) .

٢٠- نفسه ،ص (٢٢) .

٢١- نفسه ،ص (٢٦) .

٢٢- انظر : الفصل الثاني الموسوم بـ"مكونات الكلام" من الكتاب نفسه ،ويقع بين الصفحتين (٣٩) ،(٥٨) .

٢٣- علم اللسانيات الحديثة ،عبدالقادر عبدالجليل ،دار صفا — الأردن ،ط/١ ،٢٠٠٢ ، ص ص (٢٥٥، ٢٥٦) .

٢٤- انظر : اللغة ،الفصل الخامس الموسوم بـ "الشكل في اللغة :المفاهيم النحوية" ،ص — ص (١١٥-١٦٦).

٢٥-Dictionnaire de Linguistique, Jean Dubois, Larousse, Paris,2ème edition, 2001, P (205).

٢٦- انظر قائمة الأعلام في "الزمان والمكان في القصص القرآني" ،(أطروحة الدكتوراة الموحدة) محمد محمد الخربي ،جامعة تونس الأولى ،تونس ،١٩٨٩ ،من ص (٣١١) إلى ص (٣١٨).

٢٧- أهم المدارس اللسانية ،عبدالقادر المهيري (وآخرون) ،المعهد القومي لعلوم التربية ،تونس ،ط/١ ،١٩٨٩ ،ص (٤١).

٢٨- نفسه ، ص ص (٤٣،٤٢).

٢٩- انظر : Dictionnaire de Linguistique، جون دوبوا ،سابق ،ص ص (٢٠٥ ،٢٠٦).

٣٠- نفسه ، ص — ص (٩٤- ٩٧).

انظر كذلك : النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ،فاطمة الطبال بركة ، المؤسسة الجامعية — بيروت ،ط /١ ، ١٩٩٣م ، الفصل الثاني الموسوم بـ "المبادىء العامة" ويشدد فيه جاكبسون على العلاقة الوطيدة بين الشكل والمضمون ويؤكد أن اللغة ليست سوى إعادة صياغة المفهوم الدلالي للكلمات ،وأنه ليس باستطاعتنا أن نحلل اللغة أو النظام النحوي دون الرجوع إلى دلالة الأشكال (المضمون ،كما يشدد على أهمية السياق الاجتماعي في فهم وظائف الكلام داخل دائرة التواصل اللسانية.

٣١- أهم المدارس اللسانية ، سابق ،ص (٥١).

٣٢- انظر : Dictionnaire de Linguistique ، سابق ،ص (١٥٦).

٣٣- نفسه ، ص (١٥٦).

٣٤- نفسه ، ص (١٥٧).

٣٥- علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية ،شاهر الحسن ،دار الفكر ،الأردن ،ط/١ ،٢٠٠١ ، ص(٨٨).

٣٦- انظر : علم اللسانيات الحديثة ،سابق ،من ص (٢٥٧) إلى ص (٢٦١).

٣٧- مدخل إلى اللسانيات ،محمد محمد علي ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،ط/١ ،٢٠٠٤ ، ص (٦٩)، انظر كذلك : بحوث ألسنية عربية ،ميشال زكريا ،المؤسسة الجامعية — بيروت ،ط/١ ، ١٩٩٢ في الجزء الخاص بتعرف الألسنيين للغة ،ويبين فيه أن بلومفيلد ينظر إلى اللغة على أنها عادة إنسانية كلامية ،وهي نظرة سلوكية في علم النفس ،ويعتبر أن عملية التكلم تخضع إلى تأثير المثير وإلى الاستجابة الكلامية خلال ترعرعه في بيئته ،فهي أي اللغة تقوم على تكرار عمليات الاستجابة إلى المثير الذي يحركها، ويلخص ميشال زكريا رؤية بلومفيلد للغة في النقاط الآتية:

١- اللغة عادة كلامية يكيفها المثير.

٢- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة

٣-تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر .

٤-اللغة أصوات وتوزيعات شكلية علائقية .

٣٨- انظر : Dictionnaire de Linguistique ، سابق ،ص ص (٢٢٣ ،٢٢٤) .

٣٩- نفسه ، ص (٢٢٤) .

٤٠- نفسه ، ص (٢٢٤) .

٤١- مدخل إلى اللسانيات ،محمد محمد علي ، سابق ، ص (٦٨) .

٤٢:- نفسه ، ص (١٠٢) .

٤٣- دراسات حديثة في اللغة والنحو وأثر الترجمة في العربية ،طالب عبدالرحمن ،مركز عبادي ، صنعاء ، ط/١، ٢٠٠٥، ص (١٢٩) .

٤٤- مدخل إلى اللسانيات ، نفسه ،ص (١٠٢) .

٤٥- انظر : A Dictionary of Linguistics and Phonetics ، سابق ، ص ص (٣٠١، ٣٠٢) .

٤٦- أهم المدارس اللسانية ،سابق ،ص ص (١٠١،١٠٠) .

٤٧- للتوسع في هذه المسائل يمكن العودة إلى كتاب "أهم المدارس اللسانية" ، سابق ،ص — ص(٩٥-١١٩) .

٤٨- مدخل إلى اللسانيات ، سابق ،ص (٧٨) + ص (٨١) .

٤٩- معجم اللسانيات الحديثة ،سامي عياد حنا (وآخرون) ،مكتبة لبنان ،بيروت ، ط/١ ،١٩٩٧ ،ص (٢٩) .

٥٠- نفسه ، ص ص (٢٩،٢٨) .

٥١- مدخل إلى اللسانيات ، سابق ،ص (٧٨) .

٥٢- نفسه ، ص (٧٩) .

٥٣- أهم المدارس اللسانية ، سابق ،ص — ص (٥٣-٥٥) .

٥٤- نفسه ،ص (٥٧) .

٥٥- نفسه ، ص ص (٧٥،٥٨) .

٥٦- نفسه ، ص (٦٠) .

٥٧- نفسه ، ص (٩٤) .

٥٨ - انظر في "معجم اللسانيات الحديثة" ،سابق ص- ص (١٩-٢٣)، مقدمته الموسومة بـ اللسانيات" ،وذلك للاطلاع على سرد تاريخي دقيق لنظرية تشومسكي وكيفية تطورها ،وانظر أيضا في الكتاب نفسه تحت عنوان "اللسانيات التشومسكية"، وفيه عرض مهم لهذه النظرية وفق مراحل زمنية تبدئ بسنة ١٩٥٧ حتى يومنا الحاضر ،وذلك عبر الصفحات١٨،١٧،١٦ .

٥٩ - نفسه ، ص (٢١٩) .

٦٠ - نفسه ، مادة "اللسانيات التشومسكية" ، ص —ص (١٦-١٨) .

٦١- تم اعتماد ترجمة ميشال زكريا لأنها الأدق لعنوان هذا الكتاب ،انظر كتابه "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية" ،المؤسسة الجامعية — بيروت ، ط/٢/١٩٨٦ ،ص (١٢) .

٦٢- نفسه ، ص (٩١) .

٦٣:- نفسه ، ص (٩١) .

٦٤- اللسانيات : المجال والوظيفة والمنهج ،سابق ،ص (١٧٧) .

٦٥- بحوث ألسنية عربية ،سابق ،ص (٧٠) .

٦٦- القضايا الأساسية في علم اللغة (مترجم) ،كلاوس هيشن ،ترجمة /سعيد حسن بحيري ،مؤسسة المختار —القاهرة ، ط/ ١،٢٠٠٣ ،ص —ص (١٣٩-١٥٢)،وانظر كذلك علم اللسانيات الحديثة ،سابق ،ص ص (٢٧١ ، ٢٧٢) .

وانظر أيضا أهم المدارس اللسانية ،سابق ،ص- ص (٧٥-٩١) .

٦٧- انظر : علم اللسانيات الحديثة ،سابق ،ص —ص (٢٦٢-٢٦٥)،وكذلك : معجم اللسانيات الحديثة ،سابق،ص(١٤١) .

٦٨- انظر : معجم اللسانيات الحديثة ، سابق ،ص ص (٢٦، ٢٧) .